مشروع التعليم
بلغة مرئية

بدعم وإشراف من مركز القطان للبحث والتطوير التربوي

طلبة ومعلمون يختبرون التعليم بمفردات سينمائية

يوسف الشايب

«كتير حلو» ... «تجربة مثيرة» .. «أكيد استمتعت» .. «اشي مفيد جداً» .. «خلتني أفكر إني أتخصص في هالمجال» ... . كانت هذه بعض تعليقات الفتيان والفتيات المشاركين في برنامج للتدريب السينمائي لطلاب المدارس، تشرف عليه مؤسسة عبد المحسن القطان في رام الله، وينفذه المخرج أنيس البرغوثي، الذي يرى في البرنامج فرصة لتعميق حرية التعبير، ما من شأنه العمل على خلق اتجاه أكثر حضارة وعصرية في التعبير عن الذات لدى الشباب، أي من خلال الكاميرا، فعلى الرغم من الإشراف الفني على الأعمال التي أنجزتها كل من المجموعات الأربع (معلمون، معلمات، طلاب، وطالبات)، فإن التدخل لم يكن في صلب العمل، أو في الطريقة التي تمت صياغته بها ... كل مجموعة صنعت فيلماً من روحها.

وتدربت المجموعات الأربع على كتابة السيناريو، والتصوير، والإخراج، والمونتاج أيضاً، وعن هذه التجربة تقول الطالبة آلاء عبد القادر: «في البداية كان الحماس يغلف علاقتنا بهذه التجربة، لكن مع ضغط الوقت بدأنا نشعر بالملل، إلا أن حب العمل تغلب في النهاية، وأنجزنا الفيلم، على الرغم من انسحاب زميلتين من المجموعة ... التجربة جديدة، وممتعة».

وترى زميلتها رنين موسى، أن ما شجع المجموعة على المواصلة والاستمرار هي أنها شاهدت عن قرب نتاج عملها ... «كان العمل رائعاً .. صحيح أنه متعب، لكن روعته تكمن في كونه متعباً ... البدايات كانت صعبة، لكن سرعان ما اعتدنا على الموضوع ... التجربة مفيدة جداً».

وتؤكد رفيف أبو ميالة، رفيقتهما في المجموعة، أنها ستخوض تجربة مماثلة، إن توفرت لها فرصة جديدة ... «التجربة رائعة ... قبل هذه التجربة، كنت أميل إلى التعبير عما يختلج في نفسي من خلال الصورة، والصورة السينمائية بالتحديد ... هذه الفرصة أتاحت لي المجال لتحقيق شيء مما أحلم ... أتمنى أن أستمر في هذا المجال ... بعد التجربة تعلقت بالسينما أكثر ... سأدرس السينما، إن توفرت لي الفرصة لذلك».

الطالبات خلال التدريب.

ويقول المخرج البرغوثي: «إن العديد من الشبان والفتيات، الذين التحقوا بدورات سابقة، لا يزالون يمارسون هوايتهم، من خلال شركته (ميرور للإنتاج الفني) في رام الله، وبالتالي تظهر أفلاماً جديدة لهم، تعرض في العديد من المهرجانات العربية، والعالمية، إضافة إلى عروض خاصة في فلسطين، وهذا ما سيحدث مع الأفلام الأربعة الجديدة».

وتؤكد الفتيات الثلاث أن هذه التجربة ساهمت

في تنمية الذائقة الفنية لديهن، وبخاصة في التعاطي مع الأفلام السينمائية، فتحولوا من مجرد مشاهدين، إلى «ناقدين»، إن جاز التعبير ...

تقول عبد القادر: «في السابق كنا نشاهد الفيلم وفقط ... الآن بتنا نتعامل مع الصورة في هذه الأفلام بطريقة مختلفة ... بتنا نشعر بالجماليات أكثر».

وتقول موسى: «على الرغم من التجربة المتواضعة التي خضناها، فإن شيئاً من النقد بدأ يتشكل لدينا، حتى في التعامل مع الأمور التقنية التي تظهر على الصورة».

وتشير أبو ميالة إلى أن العديد من الصعوبات واجهتهن خلال العمل، «كان اختيار موضوعة الفيلم على رأسها، إضافة إلى كون الامتحانات المدرسية قطعت مسيرة الفيلم، ما جعل فكرة العودة من جديد تبدو صعبة، كما أن العديد من الأشخاص رفضوا التصوير، على الرغم مما كنا نراه في تصويرهم إثراء للفيلم، وبعضهم الآخر رفض الفكرة بعد تنفيذها، في حين لم يتعاط الكثير من المراكز الشبابية بالشكل المطلوب مع فكرة المشروع، وبخاصة أن البيروقراطية سيطرت على الكثير من التعاملات مع هذه المراكز، والأصعب كان اختيار اسم الفيلم، بما يتناسب مع مضمونه».

ومن يشاهد الأفلام، يشعر أن ثمة مواهب بدأت تطفو على السطح، بفضل هذا البرنامج، على الرغم من تأثر البعض بالتقارير الإخبارية التي تبثها الفضائيات، وبخاصة مع عدم تعرض معظم الشبان والفتيات للكثير من الأفلام الوثائقية والروائية المحلية، والعربية، والعالمية.

تقول أبو ميالة: «هذه تجربة أولى، وبالضرورة سنتعلم من أخطائنا، ومن الانتقادات التي سنتلقاها في الأفلام المقبلة».

والفكرة تقوم على توفير «الفيديو» كوسيلة للتعبير، يناقش من خلالها الشبان والفتيات قضاياهم، ويعبرون عنها، بما يكفل كسر حاجز الخوف بينهم وبين الكاميرا، هذه الأداة

المعلمات والمعلمون يتناقشون حول التصوير.

الإعلامية والتعبيرية المهمة، والجديد في الأمر هذا العام، أنه مع تبني «القطان» للفكرة، والحديث هنا للبرغوثي، تبلورت أهداف ذات توجه تربوي للمشروع، دون الالتزام بموضوعة واحدة، فالمعلمات صنعن فيلماً عن المناهج الجديدة، في حين كان فيلم المعلمين عن الأطفال ذوي التعليم البطيء، بينما اتجه الطلاب والطالبات، كل حسب رؤيته، إلى الحديث عن أنفسهم في العطلة الصيفية.

يقول الطالب محمد أحمد: «كلنا نعمل في العطلة الصيفية، وفي مهن بعضها قاس، سواء للتسلية أم لمساعدة الأهل اقتصادياً ... من هنا جاءت فكرة الفيلم، الذي كان بلورة لهذه التجربة المفيدة». في حين أكد زميله محمد عارف، وهو أحد ثلاثة شبان فقط استمروا في المشروع، بعد انسحاب أكثر من النصف، أن الكثير من المهارات التي تشكلت بعد البرنامج، سيكون لها دور كبير في حياته المستقبلية، على الرغم من أنه، وزميله، لا يفكران في اقتحام عالم السينما.

ويرى وسيم الكردي، منسق البحث والبرامج الخاصة والنشر في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، أنه، وضمن توجه مؤسسة عبد المحسن القطان لتطوير القطاع التربوي الفلسطيني، جاء هذا المشروع، من باب، العمل على إدخال وسائل تعليمية مساعدة، ومنها السينما، ما من شأنه تعميق الفكرة التي يريد المعلم إيصالها للطالب، فالدراسات أثبت أن للصورة المتحركة تأثيراً كبيراً في ذهن الطلاب، وأن نقل المعلومة من خلال هذه الصورة، كفيل بإعطاء نتائج أكثر إيجابية من أية وسائل أخرى.

ويشيد الكردي بالمشروع، الذي بين أن هناك تقبلاً للفكرة، على الرغم من حداثتها، وأن هناك مواهب لدى الشبان والفتيات في المدارس الحكومية، لا بد من العمل على تنميتها، وتطوير قدراتها، سواء لرفد الحركة الفنية بـ«سينمائيين جدد»، أم التأسيس لأسلوب جديد في التعاطي مع المناهج، بصورة تبتعد عن التلقين، والجمود، الذي رافق ويرافق العملية التعليمية والتعلمية في فلسطين، منذ سنوات، والأهم من ذلك هو تلك التجربة اليومية التي خاضها المشاركون في التدريب والاتصال بالناس، والتصوير في الأماكن العامة، واختيار اللقطات ومونتاجها، وتكوين المواقف ضمن مجموعات العمل، مشيراً إلى أن «القطان» ستعمل على عرض الأفلام الأربعة، والترويج لها، بما يشكل لبنة للتأسيس لمشروع يتواصل، وينمو في السنوات المقبلة.

يوسف الشايب- كاتب وصحافي في جريدة الأيام